لأجل عينٍ.. النبي (ص) وبنوه مثال

لأجل عينٍ.. النبي (ص) وبنوه مثال

كم سمعنا عن المواقف التي يقول فيها أحدهم لمن أذاه أو أساء إليه بأي صورة "لولا مكانة أبوك/أخوك/عمك .... لكان ردي بشكل أخر". وكذا في الجانب الأخر "لأجل مكانة أبوك/أخوك/عمك.... عندي أخدمك بعيوني" ومن مصاديق ذلك ما ينقل عن أستاذ العرفاء السيد علي القاضي قدس سره الشريف أنه كان يغسل ملابس ابن صديقه وفاءً لعلاقته وعهده مع أبيه حيث كان بينهما عهد وفاء أخوي وبعد وفاة ذلك الصديق تفضل بإكمال عطاء نهره إلى حديقة الابن الفتي وكأنه موسى الكليم عليه السلام في قصته مع نبي ا شعيب ، والفارق هو أن ليس هناك ذكر لما بعد وفاة أحدهما.

فلعلنا نقول أنه لا الحاجة إلى الوفاء إلى هذا الحد فالسؤال عن أحوال الابن وزيارته وما إلى ذلك تكفي لحفظ حق أبيه لكنه أثر أن يطبق ما كان يفعله مع أبيه حباً ووفاءً وتديناً وتفضلاً. كما ترى عزيزب القارئ هذه صورة أخلاقية واجتماعية راقية وكل الصور الأخلاقية الراقية هي تنسجم مع روح الإسلام لأنه يرتقي بالعلاقة إلى أسماء الصور كالإيثار والفداء وما إلى ذلك من مفاهيم لا تعرفها المادية الجافة الجوفاء التي هي طبل ملأ الدنيا بصخبه الفارغ الذي لا يسمن ولا يغني من جوع بل أودى بالإنسان في وادي المهالك النفسية والمالية والأخلاقية وكل سحيق لا يؤمن بالإنسانية والرأفة والرحمة والوفاء حيث ا في أجلى صوره الرحيمة.

انطلاقاً من ذلك غرس القرآن الكريم والنصوص الشريفة في حديقة التدين طريقاً للوفاء لقلب المصطفى صلى ا عليه وآله من خلال ذريته الطاهرة والطيبة التي نبعت من الكوثر المحمدي فاطمة البتول سلام ا عليها ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ١﴾ [سورة الكوثر] خصوصاً الأئمة المعصومين ونجوم الذرية من الأتقياء والورعين والأولياء. فقد روي أنه أوحى ا تعالى إلى إبراهيم الخليل (عليه السلام) فقال: انطلق بإسماعيل وأُمّه حتّى تنزله بيت التهامي ـ يعني مكّة ـ فإنّي ناشر ذرّيته وجاعلهم ثقلاً على من كفر بي ، وجاعل منهم نبيّاً عظيماً ، ومظهره على الأديان ، وجاعل من ذرّيته اثنى عشر عظيماً ، وجاعل ذرّيته عدد نجوم السماء. وقول إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم معروف"رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي

إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ". كما يروى عن النبي الأعظم (صلى ا عليه وآله): "لا يكون المؤمن مؤمناً حقّاً حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه، وعترتي أحبّ إليه من عترته، وذرّيتي أحبّ إليه من ذرّيته" (1).

لذلك من سمات المتدين أنه يجل ذرية النبي صلى ا عليه وآله في سريرته وعلانيته ولكن هناك صور قد لا تستساغ لأنها قد تصل إلى حد مُضر بالذرية الطيبة وذلك من خلال التقديس بحيث يعطى لهم حصانة عن النقد وما إلى ذلك بينما المطلوب هو الأدب في التعامل وليس الرفع إلى مستوى الحصانة. فما ينبغي على الأمة هو إظهار هذا المظهر الديني بصورة لا مبالغة ولا تفريط فيها بحيث تظهر المودة ولا تضر الذرية بما يبعث إلى مزالق أخلاقية أو اجتماعية وما إلى ذلك. وعلى الذرية الطيبة اقتفاء خطى جدهم المصطفى صلى ا عليه وآله حين قال: "أنا سيد ولد آدام ولا فخر" وما روي أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ [Qalam-Al: 4].

فالمحورية بين الجانبين هي النبي المصطفى صلى ا عليه وآله وعترته الطاهرة المعصومة الحجج على الخلق.. لذا على الجميع أن يساعد الأخر على اعطاء النبي حقه باطناً وظاهراً الَّذينَ يَتَّبِعونَ الرَّسولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدونَهُ مَكتوبًا عِندَهُم فِي التَّوراةِ وَالإِنجيلِ يَأمُرُهُم بِالمَعروفِ وَيَنهاهُم عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنهُم إِصرَهُم وَالأَغلالَ الَّتي كانَت عَلَيهِم فَالَّذينَ آمَنوا بِهِ وَعَزَّروهُ وَنَصَروهُ وَاتَّبَعُوا النّورَ الَّذي أُنزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ المُفلِحونَ [rāf'A-Al: 157]. ولا يُكتفي بالظاهر دون الباطن ولا العكس بدعاوى غير ناهضة فالدين لا يدعو إلى أمرٍ غير راجح. وخير قدوة هو ما نراه عند مرور المراجع لذكر الذرية الطيبة في رسائلهم العملية في باب الخمس يعبرون عنهم بتعابير اجلال واحترام كرامة لجدهم المصطفى صلى ا عليه وآله. ومن الجدير بالذكر هو أن مما يركز عليه العرفاء من نقاط جوهرية في السلوك للتقرب إلى ا عز و جل هو إكرام ذرية النبي صلى ا عليه وآله، وذلك مستقى من اتباع أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لأبنائه بالحسن والحسين وعليهما السلام لأنهما ابنا رسول ا صلى ا عليه وآله بجانب مقام الإمامة طبعاً.

هب أن هناك من انحرف عن الجادة من هذه الذرية، لا بد أن يذكر تعظيم النسب ثم ذكر المثالب، فقد نقل عن أحد الأعلام عند نقده لرأي استاذه أو أحد أعلام الطائفة يقدم مقدمة طويلة تمجيداً بمن سينتقده فما بالك بمكانة النبي صلى ا عليه وآله .. ألا تستحق ذلك؟ ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدي بِهِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَلَو أَشرَكوا لَحَبِطَ عَنهُم ما كانوا يَعمَلونَ [ām'An-Al: 88]

ختاماً هناك مثل مشهور مصداقه الأكمل هنا وهو "لأجل عينٍ ألف عينٍ تُكرمُ".

دمتم أهل مودة للنبي الأعظم صلى ا عليه وآله وعترته الطاهرة و ذريته الطيبة.